اسم الدرس : تفسير سورة الأعراف (١٧) | الآيات [١٥٢ : ١٥٩]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

نستكمل بإذن الله ﷻ مجالس تدبر ووقفات مع سورة الأعراف.

كنا توقفنا عند قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ}[الأعراف ١٥٢].

آخر شيء توقفنا عنده هو أنه حينما رفع موسى عليه السلام يديه ودعا ربّه وقال: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[الأعراف ١٥١] في لحظات الدعاء من موسى عليه السلام؛ ليُبرِّئ أخاهُ هارون حتى لا يشمت الأعداء فيهما، أو حتى لا يشمت الأعداء في هارون كما طالب هارون عليه السلام من أخيه فقال: {فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ}[الأعراف ١٥٠].

❖ الثغور الصغيرة لها أجور عظيمة:

حقيقةً موقف هارون عليه السلام يحتاج إلى وقفات في مدى هضم النفس والرضا بأي ثغر يكون فيه الإنسان، وأنَّ موسى عليه السلام جرَّ أخاهُ هارون من رأسه أمام الناس وبالرغم من ذلك؛ هارون عليه السلام لم يخلع يدًا من طاعته وهو نبيّ.

والعجيب أنه حينما تتدبر في مواقف هارون عليه السلام في القرآن تجد أنها قليلة، مواطن ذِكر هارون عليه السلام قليلة وبالرغم من ذلك رُفع في نفس السماء التي كان فيها موسى عليه السلام ووجده النبيّ ﷺ كذلك في المعراج.

فأحيانًا يُرفع الإنسان لأخلاق معينة ولثغور معينة يقف فيها لا يُشترط فيها الشهرة، أحيانًا الإنسان يفترض أنَّ درجة في الجنّة تتساوى مع الشهرة أو مدى ذِكر الناس له، لا يُشترط ذلك، ها هو هارون عليه السلام؛ فذِكر موسى عليه السلام أكثر بكثير في القرآن وفي السُنَّة وعلى ألسنة الناس وبالرغم من ذلك رُفع هارون عليه السلام في نفس الدرجة التي كان فيها في السماء موسى عليه السلام.

○ {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ}[الأعراف ١٥٢]

قال رَبُّنا سبحانه وتعالى بعدها: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[الأعراف ١٥٢] تأكيد من الله ﷻ جاء بصيغة التوكيد.

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ} هذه جريمة لا بد لها من عقوبة، ولا سيما أنها جريمة فيها نوع من السَّفه كما قال موسى عليه السلام {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا}[الأعراف ١٥٥] أن يصنعوا العجل بأيديهم ثم يعبدونه هذا أمر في قمة السفاهة والتفاهة.

فقال ربُّنا ﷻ مؤكدًا هذه العقوبة: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ} تكلّفوا عبادة العجل {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ} سيصل إليهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا.

❖ ما معني كلمة غضب وذلة:

المفسرون توقفوا مع كلمة غضب وذلّة. ما معنى غضب وذلّة؟ ما هو الغضب والذلة الذي وقع عليهم من ربهم؟ وهل هذا الغضب والذلّة وقعا أم رُفعا بالتوبة؟ لأن هذه أوصاف عامّة، ما هي العقوبة التي نزلت عليهم تحديدًا؟ وهل هذه العقوبة رُفعت عندما تابوا أم لا؟ لأنهم تابوا، عندما قال لهم موسى عليه السلام كما في سورة البقرة: {فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ}[البقرة ٥٤] أي؛ فلما فعلوا ذلك تاب الله ﷻ عليهم.

- بعض المفسرين –وهذا اختيار ابن جُرَيج من التابعين نقله الإمام الطبري– وقال أنَّ الغضب والذلّة لحقوا الناس الذين عبدوا العجل وماتوا قبل رجوع موسى عليه السلام أو هربوا قبل رجوع موسى، أو بعد رجوع موسى، ولم يقوموا بتنفيذ التوبة المذكورة في الآية {فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ}[البقرة ٥٤]، **الذين لم يقوموا بتنفيذ التوبة**؛ صدر أمر من الملك ﷻ أن التوبة تكون بأن يقتل بعضهم بعضًا –وسوف نرى كيف هذا في إشارة سريعة لأن هذا الموطن في سورة البقرة–.

فالناس الذين لم ينفذوا هذه التوبة نالهم الغضب والذلّة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وليس فقط في الحياة الدنيا، وإن كانت الآية تقول: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[الأعراف ١٥٢].

- الإمام ابن جرير الطبري شيخ المفسرين عندما نقل هذا القول اعترض عليه وقال لا؛ كل الذين عبدوا العجل نالهم الغضب والذلّة، وقد يسأل شخص: كيف نالهم الغضب والذلّة بالرغم من أنه تاب؟!

قال: لأن التوبة التي شُرعت لهم كان فيها غضب وذلّة، وهي بأنهم يُقتلوا بأيدي مَن لم يعبد العجل.

ربُّنا ﷻ أمر بأن كل مَن لم يعبد العجل أن يقتُل أحدًا من أقربائه الذين عبدوا العجل، وقالوا إنَّ هذا فيه إشارة –وهذا منقول أيضًا في الآثار رواه الإمام الطبري في سورة البقرة– لأنَّ الناس الذين لم يعبدوا العجل تكاسلوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يتوجب عليهم أن ينكروا المنكر حتى لو وصل الأمر للقتال، فلمّا تكاسلوا عن ذلك كان عقابُهم أنهم يقتلون كل مَن عبد العجل؛ أنه سيُنفّذ العقوبة بيده، الذي لم يعبد العجل يقتل مَن عبد العجل من أقربائه من أجل قضية الولاء والبراء ومن أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقالوا هذا القتل، فالناس الذين عبدوا العجل بالرغم من أنهم قُتلوا؛ كان غضب وذلّة في الحياة الدنيا هذه العقوبة، ومغفرةً لهم، مثل الرجم للزاني، هو يُهان أمام الناس لكن هذا الرجم يُطهّر هذا الزاني المحصَن –نسأل الله السلامة والعافية–.

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ}[الأعراف ١٥٢] اختلف العلماء هل هذا لكل الناس؟ حتى للذين تابوا؟ أم أنه خاص بالذين لم يتوبوا.

- وبعضهم قال بأن الغضب والذلّة المقصود في أبنائهم؛ اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، الذين رضوا بعبادة العجل؛ لأنه يوجد أناس من أتباع اليهود كانوا في عهد النبي ﷺ رضوا بعبادة العجل فأخبر الله ﷻ أنهم سينالهم غضب وذلّة.

✓ **قاعدة هامة: ليس معنى أنَّ الإنسان تاب من معصية أنه تخلص من تَبِعات الذنب.**

هُنا إشارة كان أشار إليها الإمام ابن عاشور وكنا قد ألمحنا إليها قبل ذلك بأن هناك فارق ما بين ترك الذنب –القدرة على ترك الذنب– وبين التوّبة، وليس معنى أنَّ الإنسان تاب من معصية أنه تخلص من تَبِعات الذنب.

وضربنا مَثَلاً للذي كان يتعاطى مخدرات، هو تاب ويبكي ويندم ولكن آثارالمعصية لا زالت في جسده، يظل يُعاني للتخلُص، وقلنا إنَّ سيدنا آدم بالرغم من أنه تاب –عصى الله عزَّ وجل في الجنّة فأنزله الله إلى الأرض– بالرغم من توبته إلا أنه لم يصعد إلى الجنّة مرة أخرى، هذه تَبِعات المعصية.

- فقالوا إن الغضب والذلّة تَبِعات المعصية بالرغم من التوّبة، أحيانًا إنسان يفعل معصية تسبب له مذلّة في الدنيا حتى بعدما يتوب؛ لأنه يُطهَّر في الدنيا بدلًا من أن يُؤجَّل له هذا الغضب والمذلّة إلى يوم القيامة، من رحمة الله ﷻ أن يُعجِّل الغضب والمذلّة له في الدنيا.

من الممكن أن يتعجب الشخص، يقوم بمعصية كبيرة تسبب له نوعًا من سوء السمعة، على سبيل المثال؛ عمل معصية فيها نوع من الشهوات، عمل أي نوع من المعصية، أو سرق، فتلوثت سمعته أمام الناس فأصابه مذلّة فتاب، تاب إلى الله وبكى وندم، أحيانًا الشخص يقول: يا رب أنا تُبت أصلح لي سمعتي عند الناس، لا، من الممكن أن تظل تَبِعات المعصية موجودة في الدنيا.

هذه التوّبة ثوابها يوم القيامة؛ عفا الله عنك لن تؤاخَذ بهذه المعصية، لكن تَبِعات المعصية قد تظل قائمة في الدنيا وتُرفع بعناية من الله ﷻ، لكي لا يحدث خلط ويقول الشخص: كيف تحدث لي المشاكل من المعاصي القديمة بالرغم من أنني تُبت؟

أحدهم كان له معاصٍ سيئة ثم تاب، ولا زال يعاني من آثار هذه المعاصي بالرغم من توبته، هو يدفع الثمن في الدنيا بدلًا من أن يؤجَّل له العقاب في الآخرة.

لذلك هناك فارق، لأن الناس يعتقدون أنَّ الحال سوف يُصلَح بمجرد التوبة، لا، فأنت تدفع الثمن، وهذه خطورة أن يؤخّر الإنسان التوبة؛ **لأنه كلما أخَّر التوّبة كلما طال الطريق الذي سيعوده**، وستظل تَبِعات المعاصي مستمرة إلا أن يشاء ربي شيئًا، الله قادر على كل شيء ﷻ.

مثلًا قاتل المائة لما تاب؛ كان لا بد أن يدفع ثمن توبته وهو أن يترك أرضه ويرحل وليس فقط التوبة، كان لا بد أن يدفع الثمن ويجاهد نفسه ليترك هذه الأرض.

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}؛ دائمًا المعصية معها مذلّة في الحياة الدنيا، {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ}[الأعراف ١٥٢] اجتماع الغضب والذلّة مع الذين يفترون على الله الكذب.

أسوأ الذنوب أن يفتري الإنسان على الله الكذب؛ أن يدّعي في شرع الله ﷻ ما ليس فيه، أخطر شيء أن يفتي فتوى مثلًا حتى يُرضي حاكمًا، يفتي فتوى حتى يرضي أحدًا، حتى يأخذ مالًا، هذا أمر عظيم عند الله ﷻ أن يفتري على الله الكذب.

فقال ربنا ﷻ أنه يغضب ويُذِل الذي يفتري عليه؛ لذلك كان سفيان بن عُيينة يقيس على هذا الأمر قال: "وكذلك صاحب كل بدعة عليه مذلة".

{وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ}[الأعراف ١٥٢]؛ لأن المبتدع ولا سيما المتعمّد إنه يفتري على النبي ﷺ {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ}.

○ {وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}[الأعراف ١٥٣]

- {وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ} أي هل هذا له علاقة؟ – بناءً على اختيار الإمام الطبري– هل المذلة التي في الدنيا تعني أنَّ هذا ليس له توبة؟ لا، قال ربنا ﷻ: {وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ}؛ جاءت بصيغة الجمع أي؛ أسرف على نفسه في السيئات.
- {ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ}، نعم أصلح الإيمان وحسّن إيمانه
- {ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ...}، تأكيد مرة أخرى {مِن بَعْدِهَا}.

كلمة {مِن بَعْدِهَا} تكررت مرتين في نفس الآية لعظم المعاصي؛ لأن المعصية هنا كانت ماذا؟ **كانت الشرك**؛ أنهم عبدوا العجل، فربنا ﷻ يخبرنا أنَّ رحمته وسعت حتى هذه المعصية إذا تاب، مهما أسرف الإنسان على نفسه من المعاصي حتى لو وصل للشرك والكفر ولعبادة العجل؛ الله ﷻ من بعد ذلك، من بعد هذه المعصية العظيمة؛ من بعدها غفور رحيم سبحانه وتعالى؛ لذلك قال: {ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

- {ثُمَّ تَابُواْ}، قالوا: {ثُمَّ} **هذه انتقال**، هي تفيد الانتقال من رتبة إلى رتبة، الإنسان قبل التوبة في رتبة ذليلة، يصعد بعد توبته يقترب من الله ﷻ، {ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} الله ﷻ لا يتعاظمه ذنب أن يغفره سبحانه وتعالى، ولكن بأي شرط؟ التوبة وإحسان الإيمان، حتى لو عبدوا العجل؟! حتى لو عبدوا العجل، فباب التوبة مفتوح لكل أحد {ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

  - {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}[الأعراف ١٥٤]

{وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ} نحن ذكرنا مشهد سيدنا موسى عندما غضب وألقى الألواح، وكلام النبي ﷺ ((ليس الخبر كالمعاينة))[1]؛ أول ما رأى قومه يعبدون العجل غضب، وألقى التوراة التي كانت في يده، وكانت من ألواح فتكسرت الألواح.

{وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ} وهذا فيه ملمح جميل وتعبير جميل في القرآن؛ شبّه الله ﷻ الغضب بشخص يتكلم في أذن سيدنا موسى، ويقول له افعل كذا افعل كذا –وهكذا يفعل الغضب بالفعل–، الإنسان وهو غضبان نفسه تقول له افعل كذا، كسّر، اضرب، قُل، ارفع صوتك .. الغضب مستمر في التزايد، النفس في لحظات الغضب تُستثار، لذلك يُفضَّل كما ندب النبي ﷺ للغضبان أكثر من شيء؛ إذا كان واقفًا يجلس، وأن يتوضأ، ويسكت، يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، حتى يخرج من هذه الحالة.

{وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ} وكأن الغضب توقف عن الكلام، الغضب هُنا فاعل، "سكت الغضبُ" فكأن الغضب كان يتكلم؛ فكأن الإنسان في حالة الغضب ليس هو الذي يتكلم، بعدما ينتهي الغضب يتعجب الإنسان؛ هل أنا الذي قُلت هذا الكلام؟! معقول؟! أي وأنا كنت غضبانًا هل معقول أنا قلت هذا الكلام؟! فكأن الإنسان في حالة الغضب شخص آخر؛ ليس هو الذي يتكلم، ولكن الغضب هو الذي يقود الشخص في هذه الحالة، وأي إنسان مُعرّض لهذه الحالة، ها هو كليم الله موسى عليه السلام، أي إنسان من الممكن أن يصل لهذه الحالة، القضية أنه بعد أن يخرج من هذه الحالة يستعيد ما حدث.

---

[1] [عن عبدالله بن عباس:] ليس الخبَرُ كالمُعايَنةِ
الزركشي (البدر) (ت ٧٩٤)، اللآلئ المنثورة ٧٨ • إسناده صحيح

{وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}[الأعراف ١٥٤] أريد منكم الإنتباه معي في نقطة هنا مهمة جدًا؛

- قال الله أنه لما كتب لموسى الألواح، قال في آية مئة وخمسة وأربعين -نرجع مرة أخرى- {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ}، ماذا؟ {مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا}[الأعراف ١٤٥] هذه مئة وخمسة وأربعون.
- آية مئة وأربعة وخمسون {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ}[الأعراف ١٥٤]

فقالوا: الهدى والرحمة هذه الموعظة، حسنًا أين التفصيل؟

قال بعض أهل العلم -وهذا اختيار الإمام الطبري الذي رواه عن بعض السلف- قال: عندما ألقى سيدنا موسى الألواح تكسرت الألواح، فرفع الله ﷻ جزءًا من التوراة، أيًّا كانت الروايات، بعضهم قال إنها كانت سبعة أجزاء رُفع منها فبَقِي السُدس، وقيل بَقِي السُبع منها، أيًّا كان، المهم جزء من التوراة كبير رُفع.

قال: رُفع التفصيل وبقي الموعظة التي هي الهدى والرحمة.

حسنًا ماذا يمكننا أن نستفيد من شيء كهذا -إن صح الكلام-؟

ويُذكر هُنا أيضًا أنَّ بعض المفسرين ولا سيّما المتأخرين؛ كابن عاشور ورشيد رضا مثلًا، أنكروا هذا المعنى، وأنكروا هذه الرواية؛ وقالوا: لا؛ التوراة كما هي، سيدنا موسى ألقاها هي تكسرت {وَفِي نُسْخَتِهَا}؛ قيل إنَّ الله ﷻ أمر موسى عليه السلام أن ينسخ من التوراة نسخة، فأخذ النسخة التي نسخها موسى عليه السلام.

وقيل: {وَفِي نُسْخَتِهَا} أي؛ التوراة التي معه هذه منسوخة من اللوح المحفوظ، فهي كذلك اسمها نسخة، أيًّا يكن الخلاف في كلمة نسخة. وما معنى كلمة نسخة؛ لأن بعض العرب يُسمي كل من الأصل والنسخة؛ نسخة؛ فيقول على الأصل أنها نسخة لأنها نُسخت منها، والمنسوخة كذلك اسمها نسخة، فنسير أولًا على قول الإمام الطبري الذي نقله عن بعض السلف؛ أنَّ التوراة رُفع منها جزء.

❖ لماذا يُرفع العلم ؟

حسنًا؛ لماذا رُفع جزء من التوراة؟ ما رأيكم؟ بسبب أنَّ سيدنا موسى ألقاها، حسنًا، وسيدنا موسى لماذا ألقاها؟ نعم لأنه غضبان، ولماذا كان غضبانًا؟ لأنهم عبدوا العجل.

فقالوا إنَّ هذا حرمان من بعض العلم بسبب الذنوب؛ حرمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والله ﷻ يعاقب على بعض الذنوب بسلب الهدى والعلم النافع.

الله ﷻ يعاقب الإنسان بذنبه، كما يعاقب الإنسان والعياذ بالله بأن ينسى القرآن، كما يُعاقب بنسيان العمل الصالح، بترك العمل الصالح، بنسيان العلم –وهو أعظم الرزق–، الإنسان يُحرَم الرزق بالذنب، فأعظم الرزق هو العلم النافع، فقد يُحرم الإنسان الهدى والعلم بسبب المعصية.

مرة أخرى، ننتبه إلى هذا المعنى؛ بنو إسرائيل عندما عبدوا العجل؛ كانت العقوبة رفع جزء كبير من التفصيل الذي في التوراة.

قد يقول قائل: وكيف سيتصرفون بعدما رُفع التفصيل؟ بَقِي في التوراة المجمَلات، ثم ماذا؛ كيف سيتصرفون في التفاصيل؟ المجمَلات تحتاج أهل العلم ليفهموا منها التفاصيل –عذرًا الموضوع صعب ولكن عندما نشرحه سندرك مدى أهميته–.

شيخ الإسلام ابن تيمية أفرد صفحات طويلة في الشرح، وخاصةً عندما نأتي عند آية {يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ}[الأعراف ١٥٧] وهو يشرح في آخر سورة البقرة؛ في دعاء المؤمنين في آخر سورة البقرة؛ أن يضع الله ﷻ عنهم الإصر، فكان يشرح كيف يأتي الإصر، الذي هو الثقل والأغلال؛ كيف تأتي لأهل الإيمان؟ وقد استجاب الله لهم لما طلبوا منه ﷻ أن يرفع عنهم الإصر، فقال الله ﷻ: (قد فعلت) فكيف استجاب الله لهم {رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}[البقرة ٢٨٦]، طلبوا ألا يُحمّلهم الله ما لا طاقة لهم به، وأن يضع عنهم إصرهم، فقال الله ﷻ: ((قد فعلت))[٢] –الحديث في الصحيحين أو في

[٢] [عن عبدالله بن عباس:] لَمّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: {وَإِنْ تُبْدُوا ما في أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ به اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٤]، قالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْها شيءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِن شيءٍ، فقالَ النبيُّ ﷺ: قُولوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا وسَلَّمْنا قالَ: فألْقى اللَّهُ الإيمانَ في قُلُوبِهِمْ، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعالى: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلّا وُسْعَها لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا، أوْ أخْطَأْنا} قالَ: قدْ فَعَلْتُ {رَبَّنا ولا تَحْمِلْ علَيْنا إصْرًا كما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِن قَبْلِنا} قالَ: قدْ فَعَلْتُ {واغْفِرْ لنا وارْحَمْنا أنْتَ مَوْلانا} قالَ: قدْ فَعَلْتُ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٢٦ • [صحيح]

صحيح مسلم- فكيف يأتي الإصر على أهل الإيمان مع أنَّ الدين اكتمل؟ نتكلم أولًا عن التوراة ثم نتكلم عن الإسلام.

التوراة كان فيها تفاصيل لكل شيء يحتاجونه، يريدون أن يعرفوا مراد الله في كل تفصيلة كانت مكتوبة، -هذا على قول الإمام الطبري الذي اختار أنَّ هناك جزء من التوراة رُفِع- فعندما رُفِع التفصيل بقي الإجمال، حسنًا؛ مَن الذي سيفهم التفاصيل؟ أهل العلم فقط، فرضًا؛ أهل العلم انحرفوا؛ سيعيش الناس في ضلال ويتعبون حتى يصلوا لمراد الله، وعندما يختفي مراد الله على بعض الناس، قد يصلوا إلى حالة من التشدد؛ لأنهم لا يعرفون مراد الله، فكانت العقوبة رفع جزء من التوراة ورفع جزء من العلم بسبب المعصية؛ لذلك لما رُفِع جزء من التفصيل وبقيت المجمَلات؛ كان الأمر يحتاج دقة في الفهم حتى يفهموا مراد ربنا؛ لذلك سيدنا أبو بكر الصديق عندما قال: -في حروب الردة- ((لأقاتلن بين من فرّق بين الصلاة والزكاة))[٣]، وقرر سيدنا أبو بكر أنه يقاتل المرتدين الذين منعوا ماذا؟ الذين منعوا الزكاة.

في حديث في الصحيح، صحيح مسلم رواية ابن عمر أنَّ النبي ﷺ قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة))[٤]، وفي زيادة (ويؤتوا الزكاة)، أي أنَّ موضوع قتال مانعي الزكاة منصوص عليه من النبي ﷺ؛ سيدنا أبو بكر عندما قرر أن يقاتلهم؛ قاتلهم بالفهم العام لمجملات الشريعة، لم يستدل بهذا الحديث؛ عندما قال له سيدنا عمر كيف تقاتلهم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله؟ قال ((لأقاتلن بين من فرّق بين الصلاة والزكاة))[٥] فاستدل الصديق بمجملات القرآن؛ فأهل العلم الربانيين يمكنهم الوصول، أحيانًا يصلون للتفاصيل، من أين؟ من المجملات، لكن من رحمة الله بنا أنه حفظ لنا السنة؛ فالسنة فيها كثير من التفاصيل، فأحيانًا بعض أهل العلم يخفى عليه حديث في مسألة معينة، لكن من ربَّانيته وعلمه وفهمه، من الممكن أن يصل من المعنى الإجمالي للشريعة لنفس الحديث تمامًا؛ نفس الحكم من الحديث، هل هذا المعنى واضح؟ حسنًا هذا بالنسبة للتوراة فكان هذا هو الحرمان

---

[٣] [عن أبي هريرة:] لَمّا تُوُفِّيَ النبيُّ ﷺ واسْتُخْلِفَ أبو بَكْرٍ، وكَفَرَ مَن كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قالَ عُمَرُ: يا أبا بَكْرٍ، كيفَ تُقاتِلُ النّاسَ، وقدْ قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتّى يقولوا: لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، فَمَن قالَ: لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، فقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ ونَفْسَهُ إلّا بحَقِّهِ، وحِسابُهُ على اللَّهِ قالَ أبو بَكْرٍ: واللَّهِ لَأُقاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بيْنَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ، فإنَّ الزَّكاةَ حَقُّ المالِ، واللَّهِ لو مَنَعُونِي عَناقًا كانُوا يُؤَدُّونَها إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ لَقاتَلْتُهُمْ على مَنْعِها قالَ عُمَرُ: فَواللَّهِ ما هو إلّا أنْ رَأَيْتُ أنْ قدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أبِي بَكْرٍ لِلْقِتالِ، فَعَرَفْتُ أنَّه الحَقُّ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٩٢٤ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠)

[٤] [عن عبدالله بن عمر:] أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإذا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وأَمْوالَهُمْ إلّا بحَقِّ الإسْلامِ، وحِسابُهُمْ على اللَّهِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٢٥ • [صحيح]

[٥] سبق تخريجه

لهم. وانتبهوا جيدًا؛ **هذا الأمر متكرر مع بني إسرائيل؛ أنهم يدخلون في نوع من الظلمات والتيه بسبب المعاصي**، وحدث ذلك معهم مرتين:

١. مرة عندما عبدوا العجل فرُفع جزء من التوراة.
٢. ومرة عندما رفضوا الجهاد قال الله ﷻ لهم: {ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} كما قال لهم موسى عليه السلام في سورة المائدة، كما أخبرنا الله ﷻ. عندما رفضوا ماذا كان العقاب؟ أنهم بقوا في التيه.

فكل أمر من أوامر الشريعة لا نطبقه ونعصي الله؛ ندخل في نوع من أنواع التيه، نُحرم العلم النافع والهدى!

وبالنسبة للإسلام؛ ما إسقاط هذا على واقعنا؟ التوراة حُرِّفت، أما الإسلام فالقرآن محفوظ من التحريف، كيف سيحصل أننا قد نقع في بعض هذه الآصار؟ هل القرآن سيُرفع منه شيئًا؟ أو هل الأحاديث سيُرفع منها شيئًا؟ لا، انتهينا {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}[المائدة ٣].

إذًا؛ كيف من الممكن أن يحصل معنا هذا بسبب معاصينا؟ كيف نقع في الظلمات والتيه من الشريعة بسبب معاصينا؟

شيخ الإسلام ابن تيمية ضرب مثالًا؛ قال: **إنهم لا يُوفقون إلى الوصول لأهل العلم الربانيين.**

قد يصلون لأهل علم يشددون عليهم، والمقلِّد لا يعرف الدين فيسمع بعض الآراء ويطبقها، فيُشدد على الناس بسبب ذنوبهم، أو يسلَّط عليهم حاكمًا ظالمًا بسبب ذنوبهم، أو كما قال النبي ﷺ أهل العلم الربانيون يقبضهم الله ﷻ: ((إن الله عزَّ وجل لا يقبض العلم انتزاعًا من صدور العلماء ولكن ..))[٦] عن طريق ماذا؟ أنه يتوفى أهل العلم فلا يبقى إلا رؤوس جُهّال يتخذهم الناس رؤوسًا فيضلونهم بغير علم.

فلذلك شيخ الإسلام كان قد سأل سؤالًا، قال: لماذا ندعو بالدعاء في آخر سورة البقرة؟ لقد انتهينا وربُّنا وضع عنا الآصار وقلنا: {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}[البقرة ٢٨٦] استجاب الله وانتهينا

[٦] [عن عبدالله بن عمرو:] أشهدُ لسمِعتُ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يقبِضُ العلمَ انتزاعًا ينتزِعُه من النّاسِ، ولكنَّه يقبِضُ العلماءَ بعِلمِهم، فإذا لم يبقَ عالمٌ اتَّخذ النّاسُ رءوسًا جُهّالًا فسُئلوا بغيرِ علمٍ فضلُّوا وأضلُّوا
أبو نعيم (ت ٤٣٠)، حلية الأولياء ٢٠٦/٢ • ثابت من حديث عروة بن الزبير

و{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}[المائدة ٣] أي؛ لن ينزل علينا تكليف صعب أو تكليف بما لا يطاق، هذا لن يحصل، إذًا لماذا ندعو؟ **ندعو لئلا يقبض الله أهل العلم الربانيين، لكي نُوفّق للوصول إليهم، لكي نُوفّق لفهم الشريعة.**

- وضرب أمثلة؛ قال: مثلًا شخص يعتقد حرمة أن يفطر في السفر، أي أنه مسافر سفرًا طويلًا ويرى بأنه حرام -هكذا هو فهمه في الدين- أن يفطر مع أنَّ من الرخصة أن يفطر، فيجد من المشقة والألم. قال **هذا قد يحدث بسبب معاصي الناس!** لا يعرفون حكم الله، مع أنَّ الحكم موجود! لكن يعرفه قلة! فيُعمَّى على الناس الوصول للحكم.

أي أننا بذنوبنا وبإعراضنا عن العلم والتعلم قد ندخل في تيه في فهم الدين، في ظلمات، بمحاربة أهل الدين، ومحاربة العلماء يدخل الأمة كلها في نوع من الظلمات ونوع من التيه. وهذه تكون عقوبة من الله ﷻ والعياذ بالله.

❖ خلاف أقوال المفسرين في قوله "وفي نسختها":

- فهُنا {وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ}[الأعراف ١٥٤] مَن اختار أنَّ جزءًا من التوراة الذي فيه التفصيل رُفع؛ مال إلى هذا القول بالتفصيل الذي ذكرته.
- وهناك -كما قلنا- من المتأخرين اختار أنه لا، رفض هذه الروايات وقال النسخة كما هي، لكن ربنا ﷻ قال هُنا {هُدًى وَرَحْمَةٌ} أي أنَّ التفاصيل كلها كانت هدى ورحمة لهم، لكن حينما أحدثوا من المعاصي بعد ذلك فرض الله ﷻ وشدَّد عليهم ووضع عليهم عقوبات {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ}[النساء ١٦٠] أي أنَّ تحريم الطيبات أتى بسبب معاصيهم بعد هذا.

- {أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}[الأعراف ١٥٤] ليست لأي أحد؛ للذي يخشى الله ﷻ هو الذي سوف يجد الهدى والرحمة في شريعته سبحانه وتعالى.

○ { وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ }[الأعراف ١٥٥]

تفسير هذه الآيه في الإجابة علي ثلاثة أسئلة:

١. {وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} انتبهوا معي؛ هؤلاء السبعون لماذا اختارهم سيدنا موسى؟ ما الذي كانوا ذاهبين لفعله؟

٢. {أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ}، ما سبب نزول الرجفة وأخذ الرجفة لهم؟ ما سبب أن يُعاقبوا بالرجفة؟

٣. {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ} مَن هم السفهاء؟

نريد أن نجيب على هذه الأسئلة الثلاثة؛ لأن هناك خلاف بين أهل العلم ونحن عندما نعرض الخلاف نريد أن نعرف ما الذي نستفيده من كل قول؛ لأن الخلاف هُنا أشبه بخلاف التنوع.

السؤال الأول: لماذا اختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلًا؟ وأين كان هذا الميقات؟

إذًا؛ فأول سؤال نريد أن نجيبه {وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا} لماذا كان هذا الميقات؟ لماذا اختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلًا؟ لِمَ؟

أول سؤال نجيبه لِمَ اختار السبعين رجلًا؟ وأين كان هذا الميقات؟ وهل هو نفس الميقات الأول؟ {وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ}

هل هذا هو نفس الميقات؟ وأنَّ سيدنا موسى عندما كان ذاهبًا للميقات الأول أخذ معه السبعين وقال لهم أن ينتظروه بعيدًا، فدخل سيدنا موسى –هذا قول قيل– وأنزل الله ﷻ عليه الغمام والنور، وكلّمه الله ﷻ وطلب موسى عليه السلام من الله الرؤية فأخذته الصاعقة، كل هذا وهم ينظرون من بعيد ويسمعون كلام الله، هم سمعوا كلام الله وهو يكلم سيدنا موسى، فحينما رجع سيدنا موسى بعد أن أفاق من الصاعقة قالوا له: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}[البقرة ٥٥] فأخذتهم الرجفة.

إذًا سنسير مع كل قصة للنهاية...

✓ القول الأول:

إذًا؛ هناك مَن قال إنَّ هذا الميقات هو نفس الميقات الأول، وهؤلاء السبعون سيدنا موسى أخذهم معه وهو ذاهب لميقاته الأول ليأخذ التوراة من الله ﷻ، ثم أنزل الله على سيدنا موسى الغمام وكان على وجهه بصيص من نور، فكلَّمه الله ﷻ، فطلب من الله الرؤية، فأخذته الصاعقة، كل هذا وهم يسمعون كلام الله لموسى، فلما عاد إليهم قالوا له بعد أن سمعنا كلام الله نريد أن نراه {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}[البقرة ٥٥] فأخذتهم الرجفة.

فقال ربِّ {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ}[الأعراف ١٥٥] أي طلب السبعين {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}[البقرة ٥٥].

القول الثاني، قول جماهير المفسرين وهو الأشهر:

وهناك مَن قال بأن لا، هذا ميقات آخر تمامًا، وعندما رجع سيدنا موسى من الميقات الأول وجد – وهذا الأشهر، القصة الثانية تلك هي الأشهر والتي عليها جماهير المفسرين– قومه عبدوا العجل أراد أن يتوب إلى الله ﷻ وأن يعتذر إلى الله، فلما أراد أن يتوب اختار أحسن ناس يراهم في قومه، ولم يختر أحسن الناس فقط، بل كأنه لا يوجد غيرهم، أولئك هم أحسن ناس وحسب؛ لذلك قال الله سبحانه وتعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَىٰ} ماذا؟ "مِن قومه" أم {قَوْمَهُ}؟ قومه!

فالعلماء قالوا كان يوجد "مِن" هُنا، لم حُذفت؟ لماذا لم يقل "واختار موسى مِن قومه سبعين رجلا"؟ قالوا {وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ} أي كأنه دار على قومه كلهم ولم يجد إلا هؤلاء السبعين على خير.

{وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا} قيل إنهم كانوا اثنا عشر سبطًا، أخذ من كل سبط ستة – في روايات– حاصل ضرب ٦ × ١٢ = ٧٢.

فطلب منهم أن يعتذر اثنان، فرجع اثنان، تفضّلوا وقالوا نترك هذا المقام لإخواننا فرجعوا –وهذا فيه أيضًا هضم للنفس– رجع اثنان وأخذ السبعين؛ لأنه كان يريد سبعين رجلًا.

{وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا} إذًا؛ لماذا كانوا ذاهبين هذه المرة؟ لماذا كانوا ذاهبين؟ لكي يتوبوا إلى الله، تخيل أشخاص ذاهبون ليتوبوا إلى الله من عبادة العجل، فحينما ذهبوا في ميقات التوبة،

وطلبوا من الله ﷻ التوبة، فكلَّم الله ﷻ موسى مرة ثانية، فعندما سمعوا كلام الله قالوا: {يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}[البقرة ٥٥].

هم ذاهبون ليفعلوا ماذا؟ ذاهبون ليتوبوا! فسمعوا الله يكلم سيدنا موسى فقالوا اسمع نحن {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}[البقرة ٥٥].

❖ سؤال جانبي مهم:

أحد الإخوة كان سألني سؤالًا: ما الفارق بين طلب سيدنا موسى {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ}[الأعراف ١٤٣] وبين طلب بني إسرائيل {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}[البقرة ٥٥]؟ ما الفرق؟

أنَّ هؤلاء اشترطوا {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ}.. سيدنا موسى طلب كما سيدنا إبراهيم طلب {قَالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ ۖ}[الأعراف ٢٦٠] لما قال أولم تؤمن؟ ماذا قال؟ بلى! هؤلاء ماذا قالوا؟ لن نؤمن، **هؤلاء يعتبرونه شرطًا في الإيمان!**

سيدنا موسى هو كان في الإيمان لكن أراد أن يرتقي في الإيمان، فارق بين الطلبين؛ لذلك الرجفة هُنا كانت عقوبة، الصاعقة هناك كانت تعليم، بدليل أنه عندما طلب، الله قال له انظر إلى الجبل وتجلّى للجبل، هُنا بمجرد أن طلبوا أخذتهم الرجفة، فكانت عقوبة.

إذًا؛ هناك أناس قالوا بأنَّ هذا ميقات ثانٍ، وكان ذاهبًا بهم كي يعتذر، فلما سمعوا الله يكلم سيدنا موسى عليه السلام قالوا له: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} فأخذتهم الرجفة! سورة البقرة {فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ}[البقرة ٥٥].

بعضهم قال: الصاعقة هي الرجفة، بعضهم قال: لا، هذه حادثة ثالثة. لا

السؤال الثاني : ما سبب نزول الرجفة وأخذ الرجفة لهم؟ ما سبب أن يُعاقبوا بالرجفة؟

قالوا إذًا لماذا عاقبهم الله؟ لماذا أخذتهم الرجفة؟

القول الأول:

{فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أهلكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا}[الأعراف ١٥٥] قيل إنه عندما ذهب ليتوب –هذه الرواية التي مال إليها الإمام الطبري وهي رواية مرعبة صراحةً– عندما ذهب سيدنا موسى بالسبعين وكلم سيدنا موسى، عاقبهم الله ﷻ وأخذتهم الرجفة فتعجب سيدنا موسى! لماذا فعل الله بهم هذا؟ فقال: يا ربي {لَوْ شِئْتَ أهلكْتَهُم مِّن قَبْلُ} إننا يا رب قبل أن نأتي كنت قد أمَتَّهم، لئلا يقولوا أنني أنا من أماتهم، وبنو إسرائيل لن يصدقوني، بل سيشكُّون بي، لماذا أمَتَّهم يا رب؟ إنهم من أحسن الناس في القوم. هذا في ظن مَن؟ سيدنا موسى، {قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أهلكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ}[الأعراف ١٥٥] يقول له: يا رب أتُميت هؤلاء لأن بقية القوم عبدوا العجل؟! فقيل هُنا أنَّ الله ردَّ عليه وقال له: هؤلاء السبعون ممن عبدوا العجل! فتعجب موسى وقال: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ}[الأعراف ١٥٥] تعجب موسى، أيعقل أنَّ هؤلاء السبعين الذين كنت أرى أنهم من أحسن القوم؛ عبدوا العجل! وقعوا في الفتنة! أي من الممكن أنَّ مَن ترى أنهم أحسن ناس، تحل فتنة فيقعوا فيها.

كم من شارح للعقيدة وقع في اختبار العقيدة، كم من شارح لقضايا في الإيمان، في القدر وقع في البلاء، –نسأل الله العفو والسلامة–.

✓ لا أحد كبير علي الفتنة

فسيدنا موسى كان معتقدًا أنَّ هؤلاء أحسن سبعين، واختارهم على عينه، فلما قال له يا رب: لماذا تُميتهم يا رب؟ إنهم ليسوا من السفهاء الذين عبدوا العجل، فقال له ربه: هؤلاء ممن عبدوا العجل؛ لهذا قالوا هُنا يوجد محذوف: {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} "فقال له ربه هؤلاء من السفهاء، هؤلاء ممن عبدوا العجل"، فقال: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاء}، **لا أحد كبير أمام الفتنة**.

وهُنا يعتذر: (أنا كنت أتكلم عن ظني –سيدنا موسى–، أنا كنت أظن أنهم على خير {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ})، فعلًا النجاة من الفتنة بالاعتصام بالله.

✓ أركان الثبات أمام الفتن

ولا شك هناك أركان للثبات، أنا لا أقلل من قيمة العلم، على العكس؛ العلم من أركان الثبات، لكن هي أركان؛ **العلم، المشورة، الالتجاء والاعتصام بالله سبحانه وتعالى، الإنسان لا يكون منفردًا عن إخوانه**، هي منظومة، دعائم للثبات، كل ركن تتركه يعرّض المبنى للانهيار في الفتنة، الإنسان قد يعتقد أنه هو فقط من يفهم كالسامري، {بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ}[طه ٩٦] هذه الكلمة من أسباب الفتنة، {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ}[الأعراف ١٢] مثل قول إبليس، هذه كلمة من أسباب الفتنة، هناك أمراض في النفوس تكون من أسباب الفتنة، الاغترار بالعلم، {كَلَّا إن الإنسان لَيَطْغَى * أن رَآهُ اسْتَغْنَى}[العلق ٦-٧] مستغنٍ عن إخوانه، معتقدٌ أنه وحده من يفهم، هذا من أسباب الوقوع في الفتنة.

فلما علم موسى، أخبره الله أنَّ هؤلاء ممن عبدوا العجل، قال: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ}[الأعراف ١٥٥]، تثبّت من تشاء في الفتنة -اللهم ثبّتنا- المرء منا يقرأ هذه الآية فيجأر إلى الله {لَا عَاصِمَ اليوم مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا ..}[هود ٤٣] مَن ركب السفينة؟ لا بل {إِلَّا مَنْ رَحِمَ}، أن يدرِكَك الله ﷻ برحمته، من الممكن أن تحيط الفتنة بالإنسان من كل جانب، ويعصمه الله ﷻ؛ لذلك أظن أنَّ ابن القيم كان يقول: "صلَّى ابن سلول خلف النبي ﷺ، كان يصلي في الصف الأول ونافق، وآمن النجاشي ولم يرَه"؛ أي أنَّ البيئة المحيطة بابن سلول كانت تجعله من الأوائل، لكن كان من المنافقين، كان رأسًا للمنافقين.

إذًا القول الأول: قيل: الرجفة سببها أنهم قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}.

القول الثاني: وقيل: السبب أنهم عبدوا العجل.

القول الثالث: وقيل: بسبب أنهم لم ينهوا عن المنكر، عندما ذهب سيدنا موسى بالسبعين رجلًا من أجل أن يتوبوا، فأخذتهم الرجفة، فتعجَّب موسى فأخبره الله ﷻ أنَّ هؤلاء لم ينهوا عن المنكر، أي لم يكونوا من العلماء العاملين.

إذًا؛ **الرجفة إما بسبب العلماء المفتونين، أو من العلماء الذين لم يعملوا**، هو لم يُفتَن، لكنه لم يعمل بعلمه، لم ينهَ عن المنكر، هو لم يقع في الفتنة، هو لم يعبد العجل، ولكنه لم ينهَ عن المنكر.

فعندما تقرأ أنَّ هذه من أسباب الفتن، وبعضهم قال –وهذه مروية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبعضهم يحسّن هذه الرواية أي هذا السند– قال: إنهم لما وصلوا إلى الميقات وسمعوا كلام الله قالوا: يا رب، شعروا بأنهم أحسن الناس في الدنيا، فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطِ أحدًا من الأولين ولا الآخرين، طلبوا طلب كِبر، وليس طلب من يشعر بالتقصير والتوبة، أبدًا؛ بل يظنون أنهم أحسن الناس، فالشعور بالكِبر، وأن يظن الإنسان أنه أفضل الناس، أو أنه لا يعمل بعلمه، أو أن يفقد أركان الثبات والالتجاء إلى الله، **كل هذا يؤدي إلى السقوط في الفتنة**.

❖ ما الغرض من تجميع الأقوال:

الغرض من تجميع هذه الأقوال؛ أن نكتشف ما هو سبب وقوع الناس في الفتنة، مسألة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة في السورة، ووردت في أكثر من موطن، منها في قصة أصحاب السبت، ومنها في وصف النبي ﷺ {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ}[الأعراف ١٥٧]، وجاءت هُنا على قول الذي قال بأنَّ الرجفة بسبب أنهم لم ينهوا عن المنكر.

❖ ملخص إجابة أول سؤالين :

إذًا؛ هذا أصلٌ أصيل في الدين –مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا}[الأعراف ١٥٥] ذكرنا أنَّ السبعين إما ذهبوا مع موسى في الميقات الأول، وهذا قول ضعَّفه بعض أهل العلم، أو أنهم قصدوا ميقاتًا آخر لأجل الإعتذار، ذهبوا لأجل الإعتذار، فسمعوا كلام الله فاغتروا، فإما أنهم طلبوا طلبًا لا يستحقونه، أو أنهم قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} فلما أخذتهم الرجفة بسبب:

١. إما لأنهم طلبوا طلبًا لا يستحقونه، بسبب كبرهم.
٢. أو اشترطوا أنهم لن يؤمنوا.
٣. أو لأنهم عبدوا العجل.
٤. أو لأنهم لم ينهوا عن المنكر.

أربعة أسباب، وقيل غير ذلك، هذه أشهر أربعة أسباب في سبب نزول الرجفة عليهم.

على المرء منا أن يتعظ، ويخاف أن يصيبه مثل هذا العذاب لو سار على نفس الطريق.

{فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ} سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم مشغول بإيمان الناس، الناس كانت تؤذي سيدنا موسى، وهو حريص على إيمانهم، سيدنا موسى سيرجع وهو يخشى أن تقول الناس أنه هو من أمات السبعين، ولكن كان من الممكن أن يقول سيدنا موسى: فليقولوا ما شاؤوا، لقد عاقبهم الله وليس أنا، المهم أني كليم الله، لكن سيدنا موسى حريص عليهم وعلى إيمانهم بالرغم من إيذائهم له؛ لذلك كان النبي ﷺ يقول كلما أصيب ﷺ من قريش، يمسح الدم عن وجهه ﷺ ويقول: ((يرحم الله أخي موسى أوذي بأكثر من هذا فصبر))[٧]، فعلًا سيدنا موسى أوذي من بني إسرائيل، {لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا}[الأحزاب ٦٩]؛ آذوا موسى: اتَّهموه بعيبٍ في بدنه، اتهموه بحب السلطة، اتهموه بأنه قتل هارون؛ سيدنا هارون مات مِيتة طبيعية، خرج مع موسى عليه السلام فمات هارون، فعاد إليهم وأخبرهم بوفاة أخيه، تخيَّل شخصًا حزينًا على وفاة أخيه، ومات هارون في التيه، أي في أشد الأوقات التي يحتاج فيها سيدنا موسى إلى أخيه بجانبه، ثم يعود إلى قومه، فيتهمونه بقتل هارون!

ابتُلي عليه السلام، وبالرغم من ذلك يقول: {رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ}[الأعراف ١٥٥].

السؤال الثالث: من هم {السُّفَهَاءُ}؟

- ✓ إما أنهم الذين عبدوا العجل، وأنَّ السبعين ليسوا السفهاء.
- ✓ أو أنَّ السفهاء هم السبعون لأنهم طلبوا وقالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}[البقرة ٥٥].
- ✓ أو الكل لأنهم لم ينهوا عن المنكر.

{أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا}، وهُنا قول جميل، وله إسقاط مهم: بعض أهل العلم قال: { أَتُهْلِكُنَا } أي؛ أتُهلِك الجميع بما فعل السفهاء -أي الذين عبدوا العجل-؟

[٧] [عن عبدالله بن مسعود:] رحِمَ اللهُ أخي موسى؛ لقد أُوذِيَ بأكثَرَ من [هذا فصبَرَ].
محمد جار الله الصعدي (ت ١١٨١)، النوافح العطرة ١٥٤ • صحيح • أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) مطولاً باختلاف يسير.

فقالوا: هل عندما أمات الله السبعين، فقد أمات الباقيين كلهم؟ لكن الله لم يُمت الباقيين كلهم، بنو إسرائيل ألوف مؤلفة، كم عدد الذين أماتهم الله؟ هناك خلاف في {الرجفة} هل كانت إغماءة، أو إماتة وإحياء -أيًّا كان- لكن الرجفة على قول أنهم ماتوا.

فقالوا: لماذا يقول سيدنا موسى لله: أتهلك بني إسرائيل كلهم لأجل السبعين؟!

لأنه عندما يموت أفضل سبعون، هؤلاء هم المصلحون، بالرغم من عيوبهم -انتبه- السبعون لديهم عيوبهم، سواءً قالوا: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}، أو سواء لم ينهوا عن المنكر، أو أخطأوا وعبدوا العجل وتابوا، وبالرغم من ذلك سيدنا موسى يريد بقاءهم؛ لأنهم من أحسن الناس.

❖ كيف نستفيد من هذا في الواقع؟

أنه من الخطأ أن تأتي على جميع المصلحين، حتى لو لديهم أخطاء، وتهدمهم كلهم، هناك فرق بين أن تصلحهم، تَنْتقدهم، تبيّن الميزة التي يتميزون بها، والأخطاء، لكي يحذر الناس الخطأ، فلا يقعوا فيه، وبين أن تهدمهم كلهم، لأنك إن تتبعت كل المصلحين والعاملين من الناس، والجماعات، وأهلكتهم جميعًا، أنت هكذا تهلك الناس، أنت بهذا تحكم على جميع الناس بالسوء، ((فمن قال هلك الناس فهو أهلكَهم))[٨] أي تسبَّب في هلاكهم، أو: (فهو أهلكُهُم) أشدُّهم هلاكًا، لو على صيغة الفعل وليس أفعل تفضيل هو الذي أهلكهم، لماذا أهلكهم؟ لأنه يرى أنه لا أمل؛ يرى الداعية الفلاني لديه عيوب لا تُحصى، والجماعة الفلانية كلها أخطاء، أي أنه يمارس الذم المطلق.

أثر يُروى وإن كان هناك ضعف في السند: (أَفْرَى الفِري) أي أشد الكذب، ((أفرى الفري أن يهجو الشاعر قبيلة بأكملها))[٩]، أن يقول الإنسان: هؤلاء الناس كلهم فيهم كذا، وهو الذم بالعموم، بالمطلق، تسأل عن الجماعة الفلانية يقول لك: كلهم سارقون، وهؤلاء الدعاة كلهم مخادعون، كلهم شر، {وَقَالَتِ اليهود لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ}[البقرة ١١٣]، في حين القرآن عندما يتكلم عن اليهود والنصارى يقول: {إِلَّا قَلِيلًا}.. الذي يريد أن يهدم كل المتصدرين؛ هذا يسبب هلاك الأمة، ولكن هم فيهم عيوب، نعم، أعلم أنَّ فيهم عيوب؛ نُصلحها.

---

[٨] [عن أبي هريرة:] إذا قالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهو أهْلَكُهُمْ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٦٢٣ • [صحيح]

[٩] [عن عائشة أم المؤمنين:] إن أعظمَ الناسِ فريةً الشاعرُ يَهجو القبيلةَ بأسرِها
ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، فتح الباري لابن حجر ٥٥٥/١٠ • إسناده حسن

هناك قاعدة جميلة كان يذكرها الدكتور حازم جزاه الله خيرًا، كان يقول: لا بد لأي قَومة ونهضة، أي قَومة بعد طول نومة، طول فتور، غالبًا معلولة فيها ضعف وفيها علة.

فأنت أمة إسلامية سُلب مجدها، واستُعمرت وتم غزوها، كل هذا حدث، وأمة تنهض في حالة من اليأس والإحباط وقلة الموارد وقلة الكوادر، فكيف تريد أن يكون الجيل الذي سيخرج، كيف يكون جيلًا كاملًا؟ وبُعد من النبوة؛ بُعد زمن من النبوة والقابض على دينه كالقابض على الجمر، طبيعي أن يكون هناك أخطاء. فلا بد أن يكون هناك رحمة ونرحم بعضنا، هذا ليس معناه إقرار الخطأ، لا بد من الاعتراف بالخطأ وتوضيح الخطأ، لكن تفرقة بين هدم المخطئ لا سيما لو غلب خيره شره، هناك أشخاص خيرهم فاض وزاد، لديهم أخطاء؟ حتمًا لديهم أخطاء.

لذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول عندما تكلم عن الخلاف:

لماذا النبي ﷺ عندما قال الله ﷻ: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ}[الأنعام ٦٥] قال النبي ﷺ: ((هذه أهون))[١٠] لماذا لم يطلب أن تُرفع؟ ألا نختلف مع بعضنا؟ قال: ((هذه أهون))، فقال: لأنها من لوازم البشرية؛ لأننا لو لم نختلف سنكون ملائكة، فقال: هذه من لوازم البشرية، وحدث بين الصحابة هذا الخلاف لكن كان خيرهم أعظم. وقال: كل ما حدث بين الصحابة وفي هذه الأمة حدث أضعاف أضعافه في الأمم الأخرى وكل خير في الأمم الأخرى هو في الصحابة أكثر وأعظم.

فهناك أشياء هي من لوازم البشرية، هناك أناس يعيشون في عالم مثالي يريدون العاملين لدين الله ألا يخطئوا أبدًا ولا خطأ واحد، وألا يختلفوا مع بعضهم ولا اختلاف واحد، قمة المثالية، يريدونهم ملائكة مُنزلين من السماء، لا يريدون لهم أن يأكلوا الطعام ويمشوا في الأسواق، لا يريدون للداعي أن يشتغل، ولا أن يطلب المال! –لا أقصد على العمل الديني وهذا أمر له مبحث طويل– لكن لا يريدونه أن يعمل في الدنيا، هو يريده بتصور مثالي غير موجود.

فالشاهد؛ عندما قال: {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء}[الأعراف ١٥٥] أي؛ يا رب أتهلك بني إسرائيل قاطبة بموت هؤلاء السبعين بسبب عبادة هؤلاء السفهاء كلهم الذين عبدوا العجل؟!

---

[١٠] [عن جابر بن عبدالله:] لَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: {قُلْ هو القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عليكُم عَذابًا مِن فَوْقِكُمْ}، قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أعُوذُ بوَجْهِكَ، قالَ: {أَوْ مِن تَحْتِ أرْجُلِكُمْ}، قالَ: أعُوذُ بوَجْهِكَ {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: هذا أهْوَنُ - أوْ هذا أيْسَرُ - البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٦٢٨ • [صحيح]

{أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ}، قالوا لماذا نسب سيدنا موسى الفتنة إلى الله؟ {إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ}؟، قالوا الفتنة أحد أمرين:

١. أنَّ الله أراد أن يسمع السبعون كلامه سبحانه عندما تكلم الله ﷻ مع موسى؛ السبعون سمعوا كلام الله ففُتنوا وظنُّوا أنهم أفضل الخلق فبدأوا قالوا: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}.
٢. أو بسبب إحياء الله ﷻ للعجل أن جعل له خوار على قول الذين قالوا أنه كان -أي العجل- حيًّا من لحم ودم.

فأحيانًا كما تكلمنا المرة السابقة، يُقدّر الله أقدارًا عجيبة قد تؤدي إلى فتنة الناس وقد يُفتن الإنسان - انتبهوا معي- بالمقام الديني وليس فقط بالمقام الدنيوي.

ماذا يعني بالمقام الديني؟ بمعنى؛ هؤلاء سبعون سيدنا موسى اختارهم ليذهبوا لأحسن مكان وأحسن ميقات لكلام الله ﷻ فلما سمعوا كلام الله، وأشرف شيء في الوجود أن يسمع كلام الله، كان هذا سببًا في فتنتهم، تخيل!

قد يُفتَن الإنسان بمقامه الديني؛ أنه يتصدر دينيًا فيُفتن، سيدنا موسى اختار أحسن سبعين رجل في بني إسرائيل كلهم، ألوف مؤلفة وفُتن بسبب هذا الاختيار، أحيانًا التصدُّر يكون فتنة، أحيانًا المقام الديني يَفتن الإنسان، إذا كان التصدر الدنيوي يفتن الإنسان، أيضًا أحيانًا -نسأل الله السلامة والعافية- التصدُّر الديني.

وأكبر شاهد على ذلك، الحديث المرعب أول ثلاثة تُسعَّر بهم النار: مجاهد، منفق، قارئ للقرآن، والثلاثة مشاهير معروفون، قال فعلت ليقول الناس كذا وقد قيل، الناس كلها تعرفك وتتكلم عنك -نسأل السلامة- فأحيانًا الفتنة {إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ}[الأعراف ١٥٥] ليست فقط بالدنيا، بل بالمقام الديني؛ أن يتصدر الإنسان في مكان، وكم إنسان كان يفتي بما يراه رضا للملك سبحانه وتعالى وبما يراه حقًّا، حتى إذا تقلَّد منصبًا دينيًا؛ غيّر فتاواه، فُتن!

{إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ} -نسأل الله السلامة- {إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ} الحل أن يجأر الإنسان إلى الله {تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا} في الفتنة تحتاج أن يتولاك الله كما قال ﷺ على الدجال مكتوب بين عينيه كافر، مَن الذي يقرأها؟ يقرأها كل مؤمن، يحتاج إلى إيمان لينجو من الفتنة.

{إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا}[الأعراف ١٥٥] لم ييأس موسى عليه السلام من رحمته، عبدوا العجل وقالوا: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}[البقرة ٥٥]، {أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ}[البقرة ٥٥]، ولم ييأس من مغفرة الله ومن رحمته فقال: {فَاغْفِرْ لَنَا} عنده أمل {وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}[الأعراف ١٥٥] لأنه كان أعلم الناس في هذا الزمان بربه سبحانه وتعالى.

ثم قال موسى عليه السلام بعد أن قال: {أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}[الأعراف ١٥٥] فالإنسان مهما وقع في الذنوب أو في فتنة فليجأر بهذا الدعاء وليقل اللهم {أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ * وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ} أي؛ وفي الآخرة حسنة أيضًا طلب من الله ﷻ حسنة الدنيا والآخرة.

○ {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}[الأعراف ١٥٦]

واختلف العلماء في الحسنة هُنا كما اختلفوا في قوله: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً}[البقرة ٢٠١] سواء العلم النافع، أو سعة الرزق، أو صرف الفتن {وَفِي الآخِرَةِ}[البقرة ٢٠١] أي؛ نعيم الآخرة.

{إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}[الأعراف ١٥٦] جميع المفسرين ولا سيما من السلف اتفقوا أنَّ {هُدْنَا إِلَيْكَ} أي؛ تبنا إليك وعُدنا إليك حتى لا يفقد الإنسان الأمل في الرجوع إلى الله ﷻ مهما فعل، حتى لو عبد العجل، حتى لو طلب طلبًا شنيعًا، حتى لو أخذته الرجفة مهما حدث وأحياه الله ﷻ، فقال يا رب {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} نريد أن نرجع إليك يا رب، قررنا أن نرجع إليك يا رب، إنا هدنا، تبنا وعدنا إليك.

{قَالَ} -هناك قاعدة للجميع- {عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}، هُنا رحمتي وسعت كل شيء ثم قال: {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} المفسرون قالوا هُنا: كيف يقول ربنا وسعت كل شيء؟ ثم يخصص ويقول لا، هي ليست لكل شيء، بل سأكتبها لأشخاص معينين؟ فالعلماء هُنا انقسموا إلى فريقين:

١. فريق قال إنَّ كلمة {كُلَّ شَيْءٍ} هُنا في {وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} هذه في اللغة يسمُّونها العام لكن يراد به الخاص، ما معنى العام يراد به الخاص؟

بمعنى؛ أنت من الممكن أن تقول لفظ عام لكنك تقصد أمرًا خاصًا، مثلًا تقول دخلت على فلان وجدته يأكل كل شيء وأكيد أنَّ كل شيء ليس المقصود بها السفرة والطاولة والكراسي!

كل شيء ماذا؟ يؤكل، كل شيء يصلح للأكل، هُنا أنت استعملت لفظ عام تريد السعة، كما قال الله عن ملكة سبأ قال: {وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ}[النمل ٢٣] رغم أنها لم يكن عندها مُلك سليمان، فما معنى كل شيء؟ كل شيء يصلح للتملُّك لمثلها.

فكلمة كل شيء أحيانًا تأتي في القرآن وهذا من لغة العرب المعهودة أنك من الممكن أن تقول كلمة كل شيء لكن أنت لا تقصد كلمة كل شيء تحديدًا، وإنما تقصد نوع معين والذي يبين هذا سياق الكلام، فطالما أنَّ الكلام على الرحمة قالوا معروف من بقية آي القرآن أنَّ المقصود في {رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}[الأعراف ١٥٦] أي؛ للمؤمنين حتى العصاة لو تابوا.

❖ لاحظ اختلاف المعايير الدنيوية عن المعايير الأخروية:

٢. بعضهم قال: لا، ليس هذا المعنى {رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} هو يقول سيدنا موسى قال: {اكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ}، سيدنا موسى فصل الدنيا عن الآخرة فقال الله له رحمتي في الدنيا غير الآخرة، رحمتي في الدنيا للمؤمن وللكافر، رحمتي في الدنيا أنَّ الله ﷻ يطعم الكافر ويسقيه ويعطيه من النعم ويغدق عليه النعم ويحلُم عليه ويصبر عليه، الرحمة في الدنيا واسعة تشمل الكل؛ البَر والفاجر، لكن في الآخرة {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} فقالوا إنَّ كلمة {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} يوجد هُنا محذوف مفهوم من السياق، ما هذا المحذوف؟ "في الدنيا" {رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}.

وهذا اختيار أظن قتادة ومجاهد من السلف {رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} أي؛ في الدنيا وهذا المشاهَد؛ وهذا مثل الذي حاول من العلماء أن يفرق بين كلمة الرحمن والرحيم، قال: الرحمن لكل الناس مؤمن وكافر لكن الرحيم للمؤمنين، وبعضهم قال إنَّ الرحمن في الدنيا والآخرة، والرحيم في الدين وفي الآخرة.

أيًّا كان فهُنا قال إن {رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} أنه يُفرق، سيدنا موسى عندما طلب؛ طلب الدنيا مع الآخرة، فربنا قال له لا، افصل هذه عن هذه، كأن هذا تصليح وتعديل لدعاء سيدنا موسى.

كما حصل مع سيدنا إبراهيم في سورة البقرة لما طلب {قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}[البقرة ١٢٤] فقال له كما طلب سيدنا إبراهيم طلبًا وقال الله له؛ لا هذه غير تلك، وأنَّ العطاء الدنيوي غير العطاء الديني، العطاء الدنيوي أعطيه لكل الناس {قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلا ثُمَّ أَضطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئسَ ٱلمَصِيرُ}[البقرة ١٢٦] حتى الكافر أعطي له متاعًا في الدنيا، لكن الولاية {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}[البقرة ١٢٤] فهناك فصل بين عطاء وعطاء.

وهذه تُحدث خَلطًا عند الناس؛ يقول لك كيف للكفار أن يكونوا متقدمين دنيويًا؟! نقول إنَّ الفراعنة كانوا متقدمين، الذين ذهب لهم سيدنا موسى كانوا متقدمين، وأيضًا قوم عاد كانوا متقدمين، فليس معنى أنَّ قومًا متقدمين دنيويًّا -إذا استعملنا كلمة تقدم، فالتقدم قد يكون تخلفًا لكن افتراضًا- التقدم الدنيوي ليس علامة على رضا الرب سبحانه وتعالى بل قد يكون فتنة للإنسان.

فالشاهد هُنا؛ {رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} قيل أي؛ في الدنيا {فَسَأَكْتُبُهَا} أي؛ خالصة صافية {لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} دائمًا بداية السلوك في الطريق إلى الله أو أن يصل إنسان إلى الحق أو ينتقل إلى طريق الهدى، ينبغي أن يكون خائفًا من شيء، قال الله: {هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}[الأعراف ١٥٤] وهُنا قال: {يَتَّقُونَ}[الأعراف ١٥٦] التقوى {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[البقرة ٢] التقوى فيها خوف، يقول أحدهم كيف يخاف إنسان وهو غير مؤمن بأي شيء أصلًا، مم يخاف؟

يخاف عندما ينظر في الوجود والكون والموت الذي يراه والآيات التي يراها يقول: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلا}[آل عمران ١٩١] يبدأ يبحث حتى عن وجود الله، لكن الذي يعيش بحالة من اللامبالاة، لا يبحث أصلًا، فلن يصل أبدًا، ولن يُهدى، لا بد أن يكون مع الهدى خوف؛ يخاف أن يكون مخطئًا، يبحث، يريد أن يصل للفطرة التي بداخله التي تصرخ بداخله فيستجيب لها فيتحرك.

❖ اختلاف المفسرين في معني الزكاة المذكور في الآيه:

فقال رَبُّنا: {فَسَأَكْتُبُهَا}[الأعراف ١٥٦] لمن؟ {لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}

✓ مروي عن ابن عباس معنًى قريب من كلمة أن الزكاة أي الطاعة، الزكاة هُنا {يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} ليست المال، لا، أي طاعة؛ لأنها -كما قال الطبري- تؤدي إلى تزكية النفس، لماذا قال هذا هُنا؟ في أكثر من موطن في بعض السور في الأعراف، في فصلت، -لا أتذكر باقي السور- في

بعض السور تجد أنَّ بعض السلف يفسر الزكاة أنها الطاعة وليست الزكاة العادية، وبعض السور الأخرى يقول الزكاة هي المال، هل يعلم أحد على أي أساس؟

ليس فقط السياق، قد يقول هُنا "يتقون ويدفع الزكاة" لا، قالوا الموطن الذي يفصلون فيه أكثر؛ هل السورة مكية أم مدنية، قالوا أين فُرضت الزكاة؟ الزكاة فُرضت في المدينة، فلما تأتي الزكاة في السور المكية بعضهم يتخذها قاعدة ويُفسرها بالطاعة، تزكية النفس، بمعنى لم تكن فرضت الزكاة بعد، مصطلح الزكاة لم يكن مستقرًّا عندهم قالوا هذا جاء في المدينة.

- ✓ وبعضهم قال: لا، كان من الممكن أن يكون في الأمم السابقة وأنَّ الزكاة تعتبر تطهير النفس عن طريق دفع المال وأنَّ كلمة {يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}[الأعراف ١٥٦] -أقوم بسرد كل الأقوال-
- ✓ القول الثاني الذي قال لا، واعتبر الزكاة هي المال {يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} أي يتطهر؛ ليس متعلقًا بالدنيا ويدفع المال {يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} لكن الذي رُوي عن ابن عباس ورجّحه الإمام الطبري وفسّره، عندما قال ابن عباس: طاعة الله والرسول، فقال الطبري: وكأنه يميل إلى تزكية النفس بالطاعة، وليس المقصود الزكاة هي المال لكن هذه قاعدة: عندما تجد أحد المفسرين يُفسر الزكاة في السورة المكية؛ تجده يميل أنها الطاعة وليس المال.

{وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا} من محاور السورة؛ الإيمان أو التكذيب بالآيات، التعامل الصحيح والتعامل الخاطئ مع الآيات وذكرنا هذا في أكثر من موطن.

- {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الأعراف ١٥٧]

{وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}[الأعراف ١٥٦] السياق هُنا عجيبٌ جدًا وجعل الكثير من المفسرين يتعجبون، فالسياق يتسلسل أنَّ سيدنا موسى يدعو الله، والله يخبره عن مَن يرحمه، ومَن يعذبه ومَن يدخله الجنة، ومَن يفعل به كذا ومَن يضله ومن يهديه، ثم انتقل السياق إلى أمة النبي ﷺ؛ وكأن هناك

إشارة أنَّ أفضل مَن طبّق هذه المعاني واستحق هذه الرحمة هم أمة النبي ﷺ، وأن هذا الأمر يجب أن يُشاع ويُنشر.

عندما قال له الله في خطاب لسيدنا موسى، في الرد على سيدنا موسى، أو السياق يتسلسل هكذا: {وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}[الأعراف ١٥٦] وفجأة {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ}[الأعراف ١٥٧] مَن هو؟ النبي ﷺ {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ} أكمل مَن استحقوا هذه الرحمة التي قال عنها ربنا: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}[الأعراف ١٥٦] وسأكتبها يوم القيامة لهم، أكمل مَن استحق هذه الرحمة هم أمة النبي ﷺ، وهذا شرف لكوننا من أمة النبي ﷺ.

{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ}[الأعراف ١٥٧] وهذا من المواطن القليلة جدًا التي جُمع فيها بين الاثنين؛ الرسول والنبي، **جمع بين الرسالة والنبوة**.

ابن عاشور قال: يوجد إشارة هُنا؛ لأن بعض اليهود قالوا: "نحن نُثبت صفة النبوة لمحمد، لكنه نبي للعرب وليس صاحب رسالة عالمية" قالوا: نعم هو نبي لكن نبي للعرب كما يوجد أنبياء خاصة لبني إسرائيل لكنه ليس كموسى، موسى هو نبي رسول، يعني قالوا: لا، محمد ليس كموسى -عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

فجاء هُنا الرد عليهم: لا، إنه صاحب رسالة وعالمية -وسنرى كلمة عالمية من أين أتت من السياق الآن-

❖ أعلموا أن أمية النبي ﷺ هذه شرفٌ له.

{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ}[الأعراف ١٥٧] فعلمه، وهذا شرف، قالوا هذا شرف في حق النبي ﷺ لكن مذموم في حق غيره، لماذا؟ لأنه كان يتعلم من الله، فتوحيد مصدر التلقي؛ لأنه لو كان يتعلم من البشر كان اختلط العلم، وهذا كان آية ومعجزة على نبوته. وتجد للأسف بعض الناس عندهم حالة من الانهزام النفسي، يقول: لا، النبي كان يقرأ ويكتب ولم يكن أميًّا، ويستدلون ببعض الآثار التي فيها ضعف، وقد قال الله إنه أمي، يقول: لا، أمي هُنا معناها نسبة إلى الأمة وليس الأمية الحالة المفطور عليها الإنسان لا يقرأ ولا يكتب أول ولادته. لا، بل إن جماهير المفسرين على أنه كان لا يقرأ ولا يكتب

ﷺ وهذا شرف أنَّ الله ﷻ كان يُعلّمه، الله اختار أنَّ البشر يتعلمون من بعضهم، لكن النبي ﷺ يُعلّمه الله، ليس بحاجة إلى تعليم من بشر ﷺ.

{وَمَا} وحتى العلم الخاص به علم صافي {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ}[يس ٦٩] الوحي الصافي وهذا مهم جدًا لمرحلة من حياتك أن تتلقى الوحي الصافي بعيدًا عن خلط الفلسفة والأفكار الضالة، وهذه تأتي في مرحلة متأخرة تتعلمها لتنقدها، لكن خطر جدًا أن تبدأ بها من البداية.

{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ}[الأعراف ١٥٧] هذا إثبات صفة النبوة مكتوب محمد ﷺ بصفاته، وهُنا في آثار حديث مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في البخاري، آثار صفات النبي ﷺ المكتوبة في التوراة والإنجيل.

والعجيب أنني سمعت امرأة تتكلم ومن المفترض أنها تشرح شيئًا في الشريعة في التلفاز، تقول: الناس التي تُكفّر اليهود والنصارى، ألا يقرأون القرآن؟! الله يقول أنه مكتوب في التوراة والإنجيل. هذا معناه أنهم على خطأ، نعم هذا هو معنى الآية؛ معناها أنَّ النبي ﷺ هو الحق، وكل الذي أصرَّ على أنَّ النبي ﷺ ليس رسول فهو يكفر بالرسول ﷺ.

❖ عالمية رسالة سيدنا محمد ﷺ:

والنبي ﷺ قال في نفس الآيات هُنا {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ}[الأعراف ١٥٨] ماذا؟ {جَمِيعًا} أي رسول، النبي ﷺ رسالته عالمية أي يجب أن ننشر الإسلام للعالم، رسالة عالمية، أي لا يصح أن تقول الإسلام صحيحًا وأي شيء آخر صحيح، البوذي صحيح والنصراني صحيح والمجوسي صحيح، لو كان صحيحًا لماذا إذًا سنذهب لندعوه إلى الإسلام؟! لمَ سنتعب أنفسنا؟! سنذهب ونقول: انظر الإسلام حسنٌ لكن ما أنت فيه حسنٌ فكما تشاء، وإذا أردت أن تأخذ هذه أو تلك كما تشاء، حسنًا، فلماذا سنذهب لندعو للإسلام؟! ولماذا نهتم بأمر الدعوة إلى الله وتبليغ الشرع للناس؟! حسنًا لماذا نُبلّغهم الدين لو كل شيء صحيح؟! لو كل الإجابات سوف تُحسَب صح يوم القيامة؛ فلماذا ندعو إلى الله؟ ولماذا يذهب الناس ويدعون غير المسلمين للإسلام؟!

فهُنا {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}.

{الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ}[الأعراف ١٥٧] بعض المؤلفات كتبت في بشارات، يسمونها البشارات -بشارات بالنبي ﷺ في الكتب السابقة- وبعضهم أسرف حقيقةً وهذا يجعل بعض النصارى يطعن في البشارات، فتحتاج هذه المسألة ضبطًا ولا سيما أنَّ التوراة والإنجيل مُحرَّفين بل يستحيل الوصول لأصل التوراة والإنجيل، حتى النُقاد الغربيين قالوا ذلك، وجزاه الله خيرًا من المعاصرين المتخصصين في هذا المجال (دكتور سامي عامري) وله أبحاث جيدة وقيل إن من أفضل ما كتب في بشارات النبي ﷺ في الكتب السابقة كان قسيسًا كاثوليكيًا أسلم اسمه عبد الأحد داود كتب كتابًا عن (محمد In the Bible) أو حتى هو تُرجم بعد ذلك ليس فقط في الإنجيل -محمد في الكتب السابقة- فخصص جزءًا للتوراة وجزءًا للإنجيل وتُرجم كتبه بالإنجليزية وتُرجم وحدثت ضجة لهذا الكتاب.

وكتاب قديم قليلًا وفيه بعض الإشارات الجيدة، كتاب فيه فصل كامل اسمه كتاب "إظهار الحق" لرحمة الله هندي، كتب فصلًا كاملًا طويلًا بشارات النبي ﷺ في الكتب السابقة نقله بكامله تقريبًا أو جزء كبير منه؛ (رشيد رضا) في تفسير هذه الآيات في المنار. وغيره وغيره ألّف كتب فيه، ويوجد لواء سابق كان اسمه أحمد عبد الوهاب له كتب جيدة، له كتيب صغير "البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين"، كتيب صغير جميل ممكن تنتهي منه في ساعة ونصف أو ساعة، يأتي في هذا الكتاب أيضًا بشارات وكيف حرّفوها ويأتي فيه أيضًا أصلها مصورة والنسخ المعاصرة والتصوير الخاص بها.

الشاهد أنَّ هذا باب عظيم وفخر لأمة النبي ﷺ {الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ}[الأعراف ١٥٧]

❖ شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

اختار الله ﷻ في هذا السياق وصف مهم جدًّا {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ}[الأعراف ١٥٧] أول وصف فعندما يأتي شخص منتسب للنبي ﷺ، منتسب لهذا الدين ويفخر أنه من أمة النبي ﷺ ثم ينكر هذه الشعيرة؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول: لا يوجد ما يسمى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كيف؟! هذا من أهم أوصاف هذه الأمة أنها أمة إيجابية؛ لذلك عندما قال الله مَن يريد أن يلتحق بركب النبي ﷺ قال في الآيات {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ} وفقط؟! لا بل يجب أن يتحرك {وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ}[الأعراف ١٥٧] مجرد أن تقول آمنت فقط، لا يصح، هذا إيمان ناقص!

{آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ} فهُنا أول وصف {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ} الإنسان يكون إيجابيًا في المجتمع بأن ينشر الخير وينهى عن المنكر بضوابط، لكن نزع أصل الشعيرة لبعض أخطاء في تطبيقها؛ خطأ!

هناك بعض الناس يصلون بشكل خاطئ، هل نقوم بإلغاء الصلاة؟ بعض الناس تقوم بالتعليم بشكل خاطئ، هل نقوم بإلغاء التعليم؟ هناك أخطاء في الطب وأطباء يخطئون، فهل نلغي الطب؟

شعيرة مهمة جدًّا، علامة من علامات هذا الدين ما بين المادية المغرقة التي كانت في اليهود والانعزالية التامة التي كانت في النصارى جاءت هذه الحنيفية السمحة وسط؛ لذلك هذا الدين الوحيد الذي يستطيع أن يستمر لآخر الزمان، أي دين آخر كان مرحلة معينة من الزمان ثم نسخه الله ﷻ. كان هناك مادية .. وتكلمت في هذه المسألة في آخر سورة الفتح، وكيف كان هناك إغراق في المادية في اليهود فأتى الله بوصف الصحابة عند اليهود؛ العبادة، وكيف كان هناك خلاف وتناحر، وهكذا يفعل الانعزال، كل شخص منعزل يعيش وحيدًا لا يستطيع أن يجتمع مع الآخرين، فكان بينهم تناحر وطوائف، فجاء وصف للصحابة في الإنجيل، قيل التعاضد والتوافق وأنهم شجرة مثمرة {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ}[الفتح ٢٩] وكيف أنَّ هناك ترتيب موجود بهذا التفصيل في آخر سورة الفتح، فالشاهد هنا {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}[الأعراف ١٥٧] تخيل أن يأتي نبي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر –وهذا من دلالات صدق الشخص من الكلام– هو لا يدعو إلى نفسه.

○ {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[الأعراف ١٥٨]

لذلك من الآيات الجميلة –الآية التي بعدها– {قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[الأعراف ١٥٨] كلمات من نور، شخص يدعو، والوصف الذي ذكره بأنه أمي ويؤمن بالله، هذه دلالة على صدق المتكلم؛ أنه يكثر من ذكر الله، من علامات صدق المتكلم أنه لا يتكلم عن نفسه كثيرًا، لكن يتكلم عن الله.

انظر النبي ﷺ يقول: {إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِى} كنت متوقعًا أنَّ {ٱلَّذِى} ثم يصف نفسه، لا، {الذي} هُنا يتكلم عن الله، أي؛ أنا رسول من الله الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو، انظر إلى الإغراق في وصف الله، هذا صدق؛ لذلك في سورة الشعراء عندما قال الله كيف نفرق بين الصادق والكاذب، بين الأنبياء والشعراء، بين مَن يدعون إلى الدين ومَن يدعون إلى أنفسهم، قال: {وَذَكَرُ ٱللَّهَ كَثِيرًا}[الشعراء ٢٢٧] يذكر الله كثيرًا.

{لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فآمنوا بالله ورسوله}[الأعراف ١٥٨] ثم كرر وصف الأمية، ثم مدح نفسه بأنه يؤمن بالله وبكلماته، بعض أهل العلم قال: وكأنه يقول لهم من جاءكم بهذه الصفات فآمنوا به، فإن كنت أنا من تنطبق عليه الصفات فآمنوا بي، وهذا هو التنزُّل في الخطاب. أنت لا تصدق إلا من يطلب منك عبادة الله، لا عبادة نفسه، ماذا يطلب منك؟ {فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ}[الأعراف ١٥٨].

الملمح الأخير في الآية التي قبلها، {وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ}[الأعراف ١٥٧] وتكلمنا في الإصر، ودعاء أهل الإيمان في آخر سورة البقرة {وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا}[البقرة ٢٨٦] لأن هذه الآية قيل إنها نسخت الآية التي قبلها في سورة البقرة وهذا عليه جمهور المفسرين {وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ}[البقرة ٢٨٤] وقلة من المفسرين قالوا إنها لم تُنسخ وهذا اختيار الإمام الطبري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأظن مال إليه ابن عطية، قال إنها لم تُنسخ وأن {وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ}[البقرة ٢٨٤] قالوا المحاسبة غير العذاب، ليس معنى أن الله سيحاسبك أنه سيعذبك.

الشاهد؛ هذا ليس موضوعنا، لكن مسألة الإصر أنها وُضعت عن هذه الأمة وعندما تقرأ الجزء الثاني من سورة البقرة أريدك أن تقوم بتتبع التخفيف الذي في الأحكام ستجد: القصاص فيه تخفيف، الصيام فيه تخفيف، الحج فيه تخفيف، الصلاة فيها تخفيف، تجد أنَّ أغلب الأحكام التي ذُكرت يأتي الحكم ويأتي التخفيف الخاص به.

الجزء الأول كان بنو إسرائيل، الجزء الثاني الأحكام لأمة النبي صلى الله عليه وسلم، فتجد وأنت تقرأ... استشعر مدى الرحمة في الأحكام، كذلك {وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ} لأن الإصر كان بسبب ذنوب اليهود، الإصر والأغلال هذا كان بسبب ذنوب اليهود.

○ {وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}[الأعراف ١٥٩]

وفي النهاية ومن عدل القرآن أنَّ ليس كل أمة بني إسرائيل هكذا {وَمِن قَوْمِ مُوسَى} انظر إلى الضبط {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ} هذا بالطبع قبل بعثة النبي ﷺ، لكن بعد بعثة النبي ﷺ يجب على الكل أن يؤمن بالنبي ﷺ {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أمة يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} لم يعبدوا كلهم العجل، لم يكونوا كلهم مخطئين، لم يكونوا كلهم لا يعدلون بالحق، لم يكونوا كلهم لا يأمرون بالحق، بل فيهم جزء يأمر بالحق {يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}.

أسأل الله ﷻ أن يستعملنا لنصرة دينه، وأن نكون ممن يدعو إلى الله ﷻ على بصيرة، وأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وأن يستعملنا لنصرة هذا الدين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.